

مفهوم العدالة الإنسانية



العدل والإنصاف من جملة أصول العلاقات الإنسانية التي تحتضن كلَّ أفراد البشر، يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) (النحل/ 90)، إِنَّ هذه الآية الكريمة تدعو بإطلاق إلى القانون والعدل وتحذر من الفحشاء والمنكر والعصيان والظلم. فالعدالة في الإسلام وشريعته فريضة واجبة، فرضها الله على الجميع دون استثناء، ففرضها على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمره بها، قال تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ...) (الشورى/ 15). ولهذا قيل: «العادل هو الذي يضع كلَّ شيء في موضعه»، وقد قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في شرح معناه: «العدل يضع الأمور مواضعها».

وأيضاً روي عنه (عليه السلام) «جعل الله العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً عن المظالم والآثام، وتسنية للإسلام»، وقال في عهده (عليه السلام) لمالك الأشر: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللفظ بهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق». والسيرة العملية لأمير المؤمنين (عليه السلام) شاهد صادق على تجسيم العدالة في نظام قيادته حتى أن غير المسلمين أطلقوا عليه (صوت العدالة الإنسانية).

إنَّ جلَّ جلاله أمر عباده أن يقوموا بالعدل، ويشهدوا بالقسط، وينصفوا المظلوم، ويأخذوا على يد الظالم، ويرفعوا الظلم عن كاهل الناس، ويعطوا لكلَّ ذي حقٍّ حقه، ليعيشوا في طمأنينة وسلام، ومحبة ووثام.

إنَّ الله يريد العدل لجميع الناس، ويريد القسط مع سائر الخلق، فالعدل حق لكلِّ إنسان بوصفه إنساناً بغض النظر عن جنسه أو لونه، أو لسانه، أو عقيدته، يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّقُوا الْأَمْثَالَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّ مَا يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (النساء / 58). إِنَّ إِيَّاهُ يَرِيدُ عَدْلًا مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، مَعَ النَّفْسِ وَالْآخَرِينَ، مَعَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ، مَعَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، حَيْثُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنَّ يَكُونُ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا...) (النساء / 135). يَرِيدُ عَدْلًا مَعَ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، مَعَ الْحَبِيبِ وَالْبَغِيضِ، عَدْلًا لَا يَتَأَثَّرُ بِنَوَازِعِ الْهَوَىٰ أَوْ الْمَصْلَحَةِ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَجَامِلَةَ وَالْمَحَابَةَ، عَدْلًا يَرِيدُ صَاحِبَهُ وَجْهَ إِيَّاهُ وَلَا يَخْشَىٰ فِيهِ إِلَّا إِيَّاهُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوَىٰ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة / 8). عَدْلًا مَعَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، مَعَ الْمُسْلِمِ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِ: (لَا يَنْهَٰكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُواكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة / 8).

إِنَّ مَعْنَى الْعَدْلِ هُوَ الْإِسْتِقَامَةُ، وَلِذَلِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى الْخَطِّ الَّذِي يَبْدَأُ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَيَنْتَهِي إِلَيْهَا، أَنْ تَسْتَقِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَعَلَىٰ ضَوْءِ هَذَا، فَإِنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَازِنًا فِي مَسْأَلَةِ الْعَدْلِ، بَأَن يَر_اقِبَ إِيَّاهُ وَلَا يَر_اقِبَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، سِوَاءٍ فِي حَرَكَةِ الْوَاقِعِ فِيمَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، أَوْ فِي حَرَكَةِ السِّيَاسِيَّةِ، أَوْ فِي حَرَكَةِ الْاجْتِمَاعِ، أَوْ فِي الدِّينِ فِيمَا يَنْقُلُهُ النَّاسُ مِنْ قَضَايَا الْعَقِيدَةِ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ صِفَةِ الشَّخْصِ الْعَادِلِ، وَمَنْ هُوَ الْعَادِلُ يَقُولُ: «مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يَخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَتْ مَرْوَعَتُهُ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ»، فَالْعَدَالَةُ هِيَ أَنْ تَمْلِكَ خَطَ الْإِسْتِقَامَةِ، بِحَيْثُ تَنْطَلِقُ مِنْ خِلَالِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَرِبُطُكَ بِالنَّاسِ فِيمَا تَلْتَزِمُهُ مَعَهُمْ، وَفِيمَا تَحْدِثُهُمْ عَنْهُ.